رَاكِدةً في أعماقِ كأسي و أسْدِلَ عَلَيَّ ستارٌ من الإحباطِ و اليأسِ ... لا أجدُ عَزاءً في يافا غيرَ عوْدتِي إليها..

أمضيتُ ثلاث سنواتٍ بهذا المُخيَّمِ وصُوَرُ ذلك اليومِ تُكرِّرُها الثَّواني أمام عينيَّ، أمضيْتُها و نداءاتُ الثأرِ مساميرٌ تقرعُ لوحَ صدري لا تكلُّ و لا تهدأ، لَكأنَّها أصواتٌ أعرفُها وتدعُوني، أصواتُ الموجِ بشواطئ يافا، صوتُ جدِّي يُسْلِمُ رُوحَهُ قُربانَ عِشقٍ لِـ"بيَّاراتِها" ، أصواتُ العصافيرِ يجمعُها الغروبُ في أشجارِ البُرتقال... أصواتٌ لن تسكُتَ إذا لم أستجبْ لها، لذلك كانَ لابُدَّ من الانتقامِ ...

و بعد أن تحصَّلتُ على السِّلاحِ أصبحَ من الجُبنِ تأجيلُ عودتِي، هناكَ سأقبِّلُ تُرابَ أرضٍ لازالَ دَمُ جدِّي يَهَبُ ثِمارَ بُرتقالِها حُمْرَةً فريدَةً..

أكتبُ إليكَ – أيُّها العربيُّ- وكُلِّي أملٌ أن تنجحَ مُهمَّتِي هذه و أن أصادِفَ في بوَّاباتِهم وُجُوهًا حطَّمَتْ آمالي و بَعثَرتْها، أكتبُ إليكَ و كُلِّي أملٌ أن تَظلَّ دِمائي حيَّةً تَنبعِثُ نُسيماتِ نَديَّةً يستهْدِي بعبيرِها العائدُون، و إليكَ مِنِّي السَّلامُ..."

بعدَ قِراءَتِي للورَقةِ عرفتُ أنَّ صاحِبَها من أبناءِ يَافا الذين تمَّ تَهجيرُهم مُنذُ سنواتٍ قليلةٍ ، وعَرفتُ أنَّه تجرَّعَ من كأسِ القهرِ ما ننتظِرُ دورَنا منهُ.. طويتُ الورقةَ التي رَمَى بها إلينا و أسرعتُ أحثُّ الخُطى وأترابي من خلفي نتعقَّبُ خُطى الشابِّ ، وبدَا لنا شبحُهُ يقتربُ من البوَّابَةِ القريبةِ على أطرافِ المدينةِ ، وصمَّتْ آذانَنَا أصواتُ إطلاقِ نارٍ كثيفٍ عَقِبَهُ وابلٌ آخرَ إستَقرَّ في جَسدِ الفِدائيِّ.. لم نتوقَّفْ بل واصَلنا السَّيرَ نَتَّبِعُ خُطاهُ...

الأستاذ البشير السيّاري
كُتِبَ بمناسبة ذكرى يوم الأرض 2013

وَرَقَـــةُ فِـــدَائِـــيّ

إهداء إلى روح الشّهيد غسّان كنفاني . . .

بَـيْنَ هذه الحَدائِقِ الغَنّاءِ نَشأتُ ، بَين أشجارِ البُرتُقالِ و أشجارِ اللّيمُونِ نشأتُ اتَفَيَّأ ظِلالَها و أحْصِي ثِمارَها... نشأتُ أتَصَعَّدُ تِلكَ الهَضبةَ التي عَلى يَمِينِكَ – أيُّها القَارِئُ- تَحْتَضِنُ عَينايَ يافا ، مِن هُنا ، مِنْ قَريتِي الصَّغِيرةِ هذه و عَلى أطرافِ المدينةِ أستَطيعُ مُشاهَدةَ أيّ مَكَانٍ فِي يَافا ، مآذِنَها ، قِبابَها ، مساكِنَها الضّارِبةِ فِي عُمْقِ التّاريخِ بِزَخارِفِها الإسلامِيّة ، وَ فِي رَحلاتِ الصَّيْدِ البَحْرِيّةِ رفْقَةَ أبِي أحْتَضِنُها أحْتَضِنُها حِينَما ألقاها لُقْيا الصَّبِيّ أمَّهُ يغِيبُ عَنها سُوَيْعَاتٍ يُوهِمُها رُجُولَةً لا تَلبَثُ أن تَزُول أوّلَ الافتراقِ ، و حِينما تُطالِعُنا شواطئها أنْشِدُ بِمَعِيّةِ البَحّارَةِ:

صَوْتُ المِجْدافِ يَحِنُّ إلَى شُطآنِك أنا آتٍ فِي قَافِلَةٍ مِن فِتيانِك ...

طِفلا كُنْتُ كالأطفالِ ، و لَكِنّ يافا لم تَكُن كأيّ مدينةٍ أخرَى، عَرفتُ هذا حِين اِشتَدّ عُودي وأصبحتُ أشتَغِلُ بِفلاحةِ أرضِها المِعطاءِ، كُنت أحمِلُ مِن المَحاصِيلِ ما زادَ عن حاجاتِنا و حاجاتِ جِيرانِنا إلَى المُدُنِ الفِلسطينِيّةِ الأخرَى لِبَيعِها هُناكَ ، و كُنت أقارِنُها بِتِلْكَ المُدُنِ.. فَيَزْدَادُ تِهْيَامِي بِها و يَغْمُرُنِي بِطُمأنِينة أبديّةٍ..

لم أصدِّقْ الأحاديثَ التي كان يَتداولُها رِجالُ البلدةِ عَمّا يُرَادُ بِنا مِنْ تَهجِيرٍ إلا يومَ قَدِمَتْ الجرّافاتُ الإسرائيليّةُ مدعومةً بِمُدرّعاتِ جُنْدٍ و طلبتْ مِنّا إخلاءَ البُيُوتِ و نقْلَ المتاعِ إلى مُخيّمٍ أعدُّوهُ لنا في بلادٍ غيرِ بلادِنا.. لم أتمالكْ نفسِي حينها ، هَرعتُ إلى قائدِ المجمُوعةِ و نشبْتُ أظافري في وجهِهِ ، فاجتَمَعَ عليَّ الجُندُ و أثخَنُوني ركلا.. تكَوَّمتُ عَلى نَفْسِي و في صَدري بُركانُ غَضَبٍ يَقْذِفُ حِمَمَهُ سَبًّا و شَتْمًا للغاصِبِين.. أذكُرُ كيف ظلّ جذّي مُتَشَبّثًا بِسَارِيَةِ البيْتِ غيرَ آبِهٍ لا للجرّافةِ التي تَنُو منه و لا لِتَوسُّلاتِ والِدِي وصُراخِ النِّسوةِ يَبْكِينَهُ حَيًّا.. لكِنّ قلوبا أخرَى كانت مُنشرحةً بِمُراقبةِ الأسقُفِ و الجُدرانِ تَهوِي فوقَ جسدِ الشيخِ المِسكين.. يومَها بَدتْ لِي الحياةُ بريّةً مُوحشةً وظلّ الحُزنُ ثُمالةً

مرحبا بكم على منصة مراجعة

موقع مراجعة
mourajaa.com

موقع مراجعة سنوات الاعدادي

COLLEGE.MOURAJAA.COM

أخبار التعليم في تونس

NEWS.MOURAJAA.COM